فيديليو .. بيتهوفن

Beethoven FIDELIO

كانت هذه الأوبرا فيما مضى تعرف باسم «ليونور» Leonore وقد كتب كلماتها «سونلايثنر» Sonnleithner، ووضع ألحانها الموسيقى النمساوي المشهور «ألدفيج فان بيتهوفن» Ludwig Van Beethoven، وقدمت لأول مرة على مسرح فيينا بالنمسا عام ١٨٠٥. وقد اقتضت ظروف سياسية في ذلك الوقت أن يجري فيها بيتهوفن عدة تعديلات، وأن يغير اسمها إلى الاسم الذي صارت تعرف به اليوم.

شخصيات الأوبرا:

جاكينو:	**سجان**	Jaquino
مارزلين:	**خطيبته**	Mqrzellino
روكو:	**حارس السجن**	Rocco
ليونور:	**(فيدليو)**	Leonore (Fidelio)
دون بيزارو:	**مأمور السجن**	Don Pizarro
فلورستان:	**زوج ليونور**	Florestan

دون فرناندو: **وزير العدل** Don Fernando

زمن الأوبرا: القرن الثامن عشر

المكان: إسبانيا

الفصل الأول

المنظر الأول - منزل حارس السجن

«دون بيزارو» رجل طاغية لا يلين له قلب، يشغل منصب مأمور أحد السجون قرب إشبيلية. والسجن الآن يخيم عليه الظلام والعبوس. غير أن منزل حارس السجن يبدو كأنه عالم آخر لما يضفيه عليه الحارس روكو وابنته ذات الجمال الأخاذ مارزلين من بهجة ومرح.

وبينما يباشر الأب عمله في السجن، تبقى مارزلين بمفردها في المنزل. وهنا يأتي السجان جاكينو يتودد إليها ويعاتبها على مجافاتها إياه.

والحقيقة أن الفتاة في شغل عنه بالشاب فيديليو الذي عين أخيرا مساعدا لأبيها. وبينما جاكينو يتودد ويتوسل، يصل الأب روكو يسأل عن مساعده الجديد فيديليو.

وفي هذه اللحظة يسمع قرع على الباب، فيذهب جاكينو ليرى من الطارق. وتضطرم الغيرة في قلبه بعنف عندما يرى أمامه الشاب الوسيم فيديليو، الذي ليس في حقيقة أمره سوى «ليونور فلورستان» وهي سيدة من إشبيلية زج بزوجها في سجن لا تعرفه، فحزمت أمرها على أن تتنكر في زى رجل وتذهب للبحث عنه.

ويدخل فيديليو (ليونور) حاملا سلة مملوءة بالطعام. وإذ يساعده الأب روكو على إخراج محتوياتها يثني عليه ويبدي ارتياحه لعمله. والحقيقة أنه يفكر في أن يزوجه ابنته مارزلين. ويدرك فيديليو ما يدور في خلد الأب، فيجثم أمامه خطر الموقف أن هو افتضح أمره. وبعد برهة من الصمت الحائر يقول:

فيديليو: أيها السيد روكو، إنني أود كثيرا أن أساعدك في عملك. لماذا لا تأخذني إلى السراديب الأرضية؟

روكو: إن لدي أوامر مشددة من المأمور بألا أدع أحدا يرى السجناء!

وتنظر مارزلين إلى أبيها قائلة:

مارزلين: إن واجباتك تثقل كاهلك، ومن المؤكد أن المأمور سوف يسمح لفيدليو بأن يشاركك إياها.

روكو: سأستطلع رأيه على الرغم من أني أعرف أن هناك زنزانة في هذا السجن لا يمكن لأحد غيري أن يدخلها. إن نزيلها المسكين قد قضى فيها حتى الآن سنتين لا يرى خلالهما الضوء، ولا يقدم إليه إلا القليل من الطعام.

وتمسك ليونور «فيديليو» صيحة كادت تفلت من بين شفتيها. ماذا لو كان هذا السجين المعذب هو زوجها فلورستان؟ وأخيرا تخفي ألمها وقلقها وتقول:

فيديليو: خذني معك! إن لدي الشجاعة الكافية وسوف لا أقصر في مهمتي.

روكو: سوف نرى.. وعلى المأمور أن يوافق أولا.

ثم يبتسم لابنته مارزلين ابتسامة ذات مغزى مشيرا إليها أن تقترب من فيديليو وتتحدث إليه. ولكن فيديليو (ليونور) لا يفكر إلا في شيء واحد، وهو كيف يدبر خطة ينقذ بها السجين فلورستان!

المنظر الثاني– فناء السجن

يظهر دون بيزارو مأمور السجن تحيط به ثلة من الجنود المسلحين.

دون بيزارو: ثلاثة حراس على السور الخارجي، وستة فوق القنطرة! وأحضر إلي في الحال كل من تسول له نفسه الاقتراب من الخندق.

وبعد أن يفرغ المأمور من إصدار أوامره الصارمة الجافة، يمسك بالرسائل التي يقدمها الحارس روكو ويتصفحها في عجل. وفجأة يقول في اهتمام بالغ.

دون بيزارو: سيحضر الوزير للتفتيش على القلعة. غير أنه لن يتمكن من اكتشاف فلورستان ذلك الذي سآمر بقتله قبل أن يصل إلى هنا!

ثم يصدر أمره بتشديد الحراسة على الطريق الموصل إلى إشبيلية، وبأن يقف جندي في أعلى البرج لينفخ في النفير عندما يرى ركب الوزير قادما من بعيد.

وما أن ينصرف الجنود من الفناء، حتى يظهر فيديليو وهو ينصت في اهتمام زائد من خلف أحد الأبواب الجانبية، وفي هذه اللحظة ينادي المأمور الحارس روكو ويقول له:

دون بيزارو: هاك كيس من الذهب، وسوف يكون لك أكثر إن أطعت أوامري.

روكو: وماذا عساي أن أفعل؟

دون بيزارو: هناك بعض أسباب تتعلق بشئون بالدولة تحتم علينا أن نقتل أحد المسجونين هنا في الحال. لقد ارتكب خيانة!

روكو: سيدي، أنني لا أؤجر للقتل!

دون بيزارو: إنك لجبان! وأن تخلت عنك شجاعتك فسوف أقوم بالمهمة بنفسي. والآن أذهب إلى السجين في السرداب وأحفر له قبرا في

البئر المهجورة. أفهمت؟ وسوف ألحق بك متنكرا وأضع حدا لحياته. هيا أذهب ونفذ ما أمرتك به!

وما أن يخرج الرجلان من الفناء حتى يظهر فيديليو وهو يلاحق دون بيزارو بنظراته ويقول لنفسه بصوت خفيض:

– أيها الوحش! أليس من رحمة في قلبك؟

إن كل ما سمعه خلسة يؤكد له تأكيدا قاطعا إن السجين ليس سوى فلورستان. ومع ذلك، فإنه لا يستطيع أن يقطع بصحة ما يعتقد إلا حينما ينزل مع الحارس روكو ويرى السجين بنفسه..

– أيها الأمل، لا تتخل عني، بل قدني إلى ما أريد!

ثم يمضي إلى الحديقة. وهنا تظهر في الفناء مارزلين ومعها السجان الشاب جاكينو الذي يلاحقها دائما ويتودد إليها. وتجيب مارزلين الشاب بقولها:

مارزلين: إنني لا أنكر حبي لك في يوم من الأيام، غير أن فيديليو يستهويني إلى حد بعيد.

ثم يعود فيديليو إلى حيث يقابل روكو ويقول له:

فيديليو: أيها الأب الطيب، لطالما رجوتك أن تسمح للمسجونين بالتنزه في الحديقة. والجو اليوم صحو. ألا تبر بوعدك؟

روكو: نعم يا فيديليو. وأنا ذاهب الآن إلى المأمور لأسأله إن كنت تعمل معي في المعتقل.

وينصرف روكو، فيفتح فيديليو وجاكينو أبواب الزنزانات طالقين سراح المسجونين الذين لم تر أعينهم ضوء النهار منذ أن زج بهم في غياهب القلعة!

وإذ ينطلق المسجونون إلى الحديقة ونفوسهم يشع فيها الفرح، يتبعهم مارزلين والسجان. غير أن فيديليو يبقى في الفناء. وفي النهاية يبصر روكو عائدا من منزل المأمور فيسأله في لهفة:

فيديليو: ما وراءك من أنباء؟

روكو: أجابني إلى طلبي. وسوف تنزل معي إلى أعماق السجن، ولكن لا تتفوه بكلمة واحدة لأحد، وعلينا أن نقوم الآن بالحفر!

وفجأة تظهر مارزلين وهي تعدو وتلهث من فرط التعب.

مارزلين: أبي!.. كن على حذر. فإن المأمور قادم من الحصن!

وما أن ينتهي السجان جاكينو من إعادة المسجونين إلى زنزاناتهم، حتى يظهر المأمور ويسأل في حدة:

دون بيزارو: أيها الأحمق، كيف تجرؤ على إطلاق سراح هؤلاء الرجال؟!

ثم يردف هامسا:

دون بيزارو: أذهب الآن ونظف صهريج المياه، فليس هناك وقت يمكن أن نضيعه!

وينصرف المأمور، فيغلق جاكينو الزنزانات، بينما يتبع فيديليو الحارس روكو في صمت حزين وقد حمل في يده مصباحا وبعض الآلات. وينزل فيديليو إلى أعماق السجن.. إلى حيث لا يعلم كيف ينتهي أمر فلورستان السجين!

الفصل الثاني

النظر الأول - المعتقل

يجلس السجين فلورستان في زنزانته المعتمة مكبلا بالأغلال يفكر في زوجته ليونور (فيديليو) ويسترسل مع ذهنه الشارد في الخيال. وفجأة يفتح باب المعتقل وينزل على السلم الحارس روكو ومعه فيديليو، ويحملق فيديليو في السجين عله يتعرف عليه، غير أن شدة الظلام تحول بينه وبين تحقيق ما يريد. وسرعان ما يرتعد حينما يسمع صوت السجين وهو يتأوه ويتأود ألما. إنه فلورستان!

فلورستان: أعطني جرعة من الماء!

وعلى الرغم من الأوامر المشددة، فإن روكو لا يتردد في إجابة السجين إلى طلبه، فيناوله كأسا من الخمر، ثم ينصرف إلى حفر القبر. وما أن يفرغ من ذلك حتى ينفخ في صفارته بطريقة خاصة فيحضر المأمور على الأثر، وقد أمسك في يده خنجرا حادا، وهنا يتقدم فيديليو فيعترض طريقه. ولكن المأمور يدفعه بيده ويصيح غاضبا:

– إليك عني أيها الغلام الوقح!.

ويقف فيديليو (ليونور) أمام فلورستان ليحميه ويقول:

– إنني زوجته!

ومرة أخرى يتقدم المأمور شاهرا مسدسه. وفي هذه اللحظة يسمع صوت نفير، إنه علامة وصول وزير العدل! ويصيح الحارس روكو في ارتياح:

– شكرا يا الهي!

ثم يتبع المأمور إلى الفناء، بينما تبقى ليونور (فيديليو) مع زوجها السجين.

المنظر الثاني - أحد أبراج القلعة

يصل «دون فيرناندو» وزير العدل ليتفقد شئون القلعة، فيهتف له أهالي المدينة والمسجونون. ويعلن الوزير قائلا:

– سوف أساعدكم جميعا بكل طريقة أستطيعها.

ويتقدم روكو موغلا في غمار الزحام ومن خلفه ليونور وزوجها فلورستان. ويقول الحارس:

روكو: إذن ساعد هاتين الضحيتين!

ويحملق الوزير في السجين فلورستان وقد تملكته الدهشة:

الوزير: فلورستان! أنت يا من ظننتك في عداد الأموات.. وليونور؟!

دون بيزارو: اسمح لي أن أشرح..

ولكن الوزير يمنعه من الكلام قائلا:

– لا تتفوه بكلمة واحدة!

ثم يلتفت إلى ليونور ويقول لها:

– أيتها الزوجة النبيلة، هاك المفاتيح التي تفكين بها أغلال زوجك. فلن يحرره من الأسر سواك!

ستار